

الثقافة والأنتاج العلمي في فلسطين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا يختلف اثنان في أن الوضع الحاضر في فلسطين شاذ وغير طبيعي وهو غيره في الأقطار الشقيقة المجاورة ، فالكل يقاسي آلاماً مبرحة من الاستعمار والمستعمرين ، والسكل واقع تحت نير الاستعباد والعبودية ؛ ولست واجداً أحداً يرضى عن السياسة البتيمة في بلاده وعمما يجري حوله ، إلا أن هناك فرقاً بين فلسطين وغيرها من البلاد المجاورة ، ففي هذه جيروت واحد وطاغية واحد ، وهنا جيروتان وطاغيتان قد تسلحا بالخبث والمكر والقوة والدهاء ، وعلى هذا فالصيبة هنا أعظم والبلاء هنا أعم والخطر عميق والفناء يهدد

ومن الطبيعي أن بلاداً هذه حالها لا تكون صالحة للإنتاج العلمي ولا لازدهار الثقافة والأدب بالمعنى الواسع . ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الأوضاع على الشباب المثقف وعلى الأدباء والعلماء فتأخذ قسماً من أوقاتهم ومجهوداتهم وتفكيرهم بصرفونها في صيادي السياسة للدرء الأخطار المحدقة ، ولتخفيف المصائب المنصبة علينا انصباباً من كل جانب . وكيف يمكن لثقافة أن تنمو ، ولقريحة أن تنتج وتبتدع إذا لم تكن تلك القريحة في جو من الحرية ، وفي محيط خال من القيود والافلال ليس فيه من يسخرك لمنافسه ومصالحه ، وليس فيه من يسي للقضاء على معنوياتك ، وعلى قتل الطموح فيك ؟

وكيف يمكن لشباب أن يمكف على العلم بقصد الاستزادة والاكتشاف والبحث والاستقصاء إذا لم يكن هناك من يساعده ويشجعه ويأخذ بيده ؟ فكيف به إذا وجد في محيط كله تثبيط للمعلم ، وكله إحباط للمزاعم ؟ . وإذا تتبعنا الطرق التي تسير عليها الحكومات المستعمرة في مختلف دوائرها ، ولا سيما المعارف منها نجد أنها ترمي إلى القضاء على روح الطموح ، على روح البحث وحب الاستزادة من العلوم والفنون ؛ ترمي إلى خلق روح الاعتماد في المناشئة على الغير ، إلى إماتة الروح الوطنية ،

وفي سنة ١٧٧١ توفى فجأة بينما كان يتناول طعام الغداء ، إلى جانب والدته في ساحة الكنيسة في Stoke Poges في مقاطعة بكنجهامشير

هذا مختصر لحياة هذا الشاعر . وفيما يلي وصف لظروف المرثية :

Elegy Written in a Country Churchyard

ابتداءً في نظم هذه المرثية في عام ١٧٤٢ ولكن القسم الأعظم منها كتبه بين السنوات ١٧٤٦ - ١٧٥٠ ، وقد أتمها في اليوم الثاني عشر من شهر يونيو سنة ١٧٥٠ ، وفي العاشر من فبراير أرسل إليه رئيس تحرير مجلة المجلات الإنجليزية Magazine of Magazines يستأذنه في نشرها في مجلته فرفض طلبه . وعند ذلك أصرح وطلب إلى صديقه هراس ولبول أن ينشرها على الناس دون إمضاء . وفي السادس عشر من نفس الشهر طبعت في كراسة بعنوان « مرثية كتبت في ساحة كنيسة قرية » مع المقدمة التالية من ولبول : « لقد وقمت القصيدة التالية في يدي مصادفة ، إذا جاز أن يدعى انتشار هذه القطعة وذيوها بين الناس عرضاً . إن الاستحسان الذي صادفته هذه القصيدة سيجعل اعتذاري لمؤلفها في غير محله ، لأنه ولا شك يشمر باعتباط شديد لاجباب الناس وسرورهم بها فيما مضى . وعملاً لا شك فيه أيضاً أنه سيفغري جرائي على النشر ، لأشاركه تقديم المرات لمدد آخر غير قليل »

وهناك ثلاث نسخ بخط الشاعر جرائي نفسه محفوظة حتى اليوم . فالأولى كانت سابقاً ملكاً للسير W. Frazer وهي الآن في كلية ايتون ، ومن المحتمل أن تكون النسخة الأصلية . والثانية تخص Wharton ورتون وهي موجودة في المتحف البريطاني تحت الرقم (٢٤٠٠) . والثالثة في كلية يمبروك Pemroke وفي آخر هذه النسخة يكتب جرائي بخطه أيضاً ما يأتي : « نشرت في فبراير سنة ١٧٥١ بواسطة دوزلي وأعيد طبعها أربع مرات شهرين ، وبعد ذلك طبعت الطبعة الخامسة حتى الحادية عشرة . وأعيد طبعها في ١٧٥٣ بواسطة مستر ينتل ثم ترجمت إلى اللاتينية وطبعت في عام ١٧٦٢ »

(تاليس)

الكرامة ، وعلى نيل ما تبني من عز وسؤدد .
وقد يسر القراء الكرام أن يلمعوا أن هناك مساعي جدية
للشروع في أعمال مشتركة تقوم بها جماعات منفتحة تأخذ على
عاتقها الاشتغال في ناحية خدمة الأمة عن طريق بث الثقافة
والتعليم القوي ، عن طريق بث الثقافة العربية والإسلامية ، عن
طريق تشجيع ذوى العقول النيرة والقرايح الخصبية في توجيه
بحوثهم وتناجهم في العلم والفن الى ناحية قومية وطنية . وقد
قام جماعة في نابلس من الشباب المثقف بإنشاء ناد ثقافي أطلقوا
عليه اسم (النادى الثقافى) قائمه هي : « إيجاد روابط وصلات
بين التملين ، والعمل على تأليف قلوبهم وتوحيد جهودهم العلمية
والأدبية وتوجيهها توجيهاً قومياً ، ورفع مستوى البلد الثقافى
والأدبى بطرق مختلفة عملية أهمها المحاضرات والحلقات العلمية
وإيجاد مكتبة حافلة بالكتب القيمة .. » وسيجد الناس في هذا
النادى وطنية عملية ستعود على البلاد بفوائد جلية . وكذلك
هناك جماعات في نابلس والقدس ويافا وحيفا وبقية البلاد تفكر
في مشروع إنشاء لجنة ترجمة وتأليف ونشر على غرار لجنة مصر .
والذى نرجوه أن توفق هذه الجماعات في مشاريعها الثقافية ، وأن
تأخذ بيد الأمة الى حيث التقدم والمجد ومعارج القوة والعظمة
قصرى حافظ طرقاته (نابلس)

أحمد سعد الهوارى

يقدم لكم في أول يناير هدية السنة الجديدة :

المصرية الشعرية الخالدة

النداء الأزرق

عصرية : تحمل مشكلة من أهم مشاكل العصر الحاضر
مصرية : موضوعها من صميم الحياة المصرية ، تحمل
الطابع المصرى الأصيل ، عنوان المسرح المصرى الناضج ،
المسرح المصرى الصميم أروع ما يكون الفن ، وأسمى
ما بلغ الشعر
(طبعة نفحة ثمنها ٤ قروش ويطلب من المكاتب الشهيرة)
عنوان المؤلف : منشأة الخالدة ، ملوى

وبث روح الاستهتار بالتراث العربى والإسلامى وانتفاصهما
بشئى الوسائل ، وفوق ذلك نجد (المستعمرين) يشغلون أوقات
الناس والموظفين في أمور ليس فيها متاع ، وليس فيها ما يعود
على البلاد بخير أو انتفاع . فن الطبيى إذن - هنا وفى البلاد
المرزوة بالاستعمار - أن الحكومات فيها لا تشجع العلم
ولا تحث على متابته ، ولا على إيجاد رغبة صادقة في التأليف
والبحث على الرغم من حاجة الأمة إلى كل ذلك . وإذن فلا محل
لنراية الكثيرين في موقف الحكومة تجاه المؤلفين ونجاء الذين
يلاحقون فروعهم في العلم والفن ، بل النراية كل النراية في حسن
ظن هؤلاء الكثيرين بالحكومات المنتدبة والاعتماد عليها في تشجيع
الناس في التنوير والتقدم وقد جهلوا أو تناسوا أن هذه الحكومات
تسير على برنامج استمارى خاص من شأنه أن يقضى على كل ما من
شأنه رفع مستوى الأمة ورفيقها . لهذا وجب على العلماء العرب
أن يلتفتوا إلى هذه الناحية ، وأن يعيروها بعض اهتمامهم ، وأن
يتمدوا على أنفسهم قبل كل شئ ، وأن يأخذوا من موقف
الحكومات قوى تحفزهم إلى توسيع الحركة للثقافية في فلسطين
وغيرها ، ونشر روح البحث والاستقصاء بين المثقفين ، ويقضى
الواجب الوطنى على الشباب العامل والأساتذة أن يتحوا في تعليم
الناشئة وتنقيفها ناحية قومية وطنية ، وقد يجدون في هذا صعوبة ،
وقد يصادفون أمامهم عقبات ، ولكن عليهم أن يجاهدوا ويعرفوا
بعضاً من مجهوداتهم في التغلب على ذلك ، وفي توجيه التعليم
والثقافة توجيهاً يخلق في النشء روح الاهتزاز القومية وروح
الاعتقاد بالقابلية ، يخلق في الناشء شخصية قوية وكياناً مستقلاً
ورجولة مستعدة لتلبية نداء الوطن قادرة على المساهمة في خدمة
الحضارة . ويقضى الواجب الوطنى على الباحثين أن يتحوا
ببحوثهم الناحية القومية ، وأن يبينوا للناشئة فضل العرب
الكبير على المدينة ، وقد تبوأوا مركزاً سامياً لم يتبوأه غيرهم أيام
كانوا سائرين على النهج القويم الذى وضعه الرسول ومجبه
وخلفاؤه ، أيام كان الاهتمام بالباب دون القصور ؛ بهذا وحده
يمكن أن تنشئ الأمة شباباً مؤمنين عاملين على رفع مستوى
البلاد ، شباباً مثقفين ثقافة قومية وطنية يعرفون كيف يخدمون
الوطن . وهذا هو أقوى سلاح يمكن أن تعد به الأمة الناهضة
ليساعدوا على خوض غمار هذه الحياة عالية الرأس موفورة